الدلالات التربوية للأسئلة الإلهية

في القرآن الكريم

د. عادل رشاد غنيم

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية – جامعة الدمام

الدمام – المملكة العربية السعودية

الملخص :

يتناول هذا البحث أسلوب الأسئلة الإلهية في القرآن الكريم، من حيث دلالاتها التربوية و تأثيراتها في المتلقي،من خلال إثارة تفكيره وتحريك مشاعره و حفز سلوكه بما يحقق غايته في هداية الناس، وعرض ذلك في مجالات ثلاثة :

الأول : المجال الفكري :

القرآن بأسلوبه التساؤلي يحفز الفكر دوما ويدفعه إلى مزيد من النقد والنظر للتبصر، والتحليل، والعبرة،و الاستنتاج، والاستفهام، والاستقصاء وتنبيه العقل إلى مبدأ الاستدلال على الخالق من دلائل مخلوقاته، وتحريك عملية النقد المبنية على المقارنة،وعدم المساواة بين مختلفين وتقريب التصور، للوصول إلى تقرير الحقيقة أو نفي الباطل عنها، والاعتبار والنظر كيف يكون الحال إذا تغيرت الأمور في الآفاق والأنفس وإعانة على التحرر من التبعية العمياء لأقوال السابقين.

الثاني :المجال الوجداني :

يُعد التوجه إلى العاطفة مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم للتوجه إلى العقل،

لتنمية الاحساس الاخلاقي، و الشعور بالمسئولية و الإلزام وبث الطمأنينة لتثبيت القلوب.

وتقدير الحقائق الإيمانية حق قدرها، وتشويق النفس، والتذكير دائم بالنعم والاتعاظ من مصائر الأمم السابقة.

المجال السلوكي :

تحقيق استجابة الناس عمليا لمنهج الهداية الذي جاء به، وأن يُرى هذا المنهج واقعا حيا في سلوكهم، وكانت الأسئلة الإلهية واحدا من الأساليب المحفزة لحركة العمل قولا وفعلا من خلال التنبيه إلى أن الحياة اختبار في مدى إحسان العمل والتأكيد على ملازمة القول للعمل و الإنكار على الاكتفاء بالقول وحده وتنويع طلب الاستجابة باستخدام لغة الحوار والنقاش .

الدلالات التربوية للأسئلة الإلهية
في القرآن الكريم
مقدمة

من الموضوعات التي أثارت اهتمامي كثرة ورود الأسئلة في القرآن الكريم، وبالتحديد تلك الأسئلة الصادرة عن الله تعالى، واستحثني ذلك للبحث في دلالاتها وتأثيراتها على فكر المتلقي ووجدانه وسلوكه، فهذه الأسئلة الإلهية تمثل ظاهرة أسلوبية واسعة الانتشار في كتاب الله تعالى، وهي ليست لاستدعاء معرفة أو طلب فهم كما هو شأن السؤال في أصل معناه، فعلم الله محيط بكل شيء وخبير بظاهر الناس وباطنهم، ولذلك كانت جديرة بالدراسة لمعرفة مقاصدها، و دلالاتها.

تناولت أكثر الدراسات التي تعرضت لأسلوب السؤال الإلهي من خلال بحثها اللغوي والبلاغي عن الاستفهام، حيث اعتبرت هذه الأسئلة نوعا من المجاز، وأطلقوا عليه الاستفهام غير الحقيقي، وشرعوا في بيان أغراضه البلاغية المستوحاة من السياق، و ساد هذا الطابع اللغوي والبلاغي في دراسات علوم القرآن، كما فعل الزركشي في برهانه وتابعه السيوطي في إتقانه وغيرهما.

وسارت أغلب الدراسات القرآنية المعاصرة على هذا المنوال، ونادرا ما اهتمت تلك الدراسات بالجانب التربوي لأسلوب الأسئلة الإلهية، والنظر في الدلالات المستوحاة من هذا الأسلوب وآثارها في الفكر و المشاعر و السلوك للمتلقين، سوى دراسة بعنوان (القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن الكريم) لعلي سعيد علي شومان، إشراف: د.محمد علي العمري، د.محمد مقبل عليمات، بجامعة اليرموك الأردنية، ماجستير (١٩٩٣ م)،لكنّ الرسالة أفرغت جهدها في عرض الأغراض

البلاغية للاستفهام أكثر مما عني بالجانب التربوي.

ومن ثم كان هدف البحث الكشف عن هذه الدلالات التربوية وارتباطها بالغاية من نزول القرآن وهي هداية الناس فكرا وشعورا وسلوكا.

منهج الدراسة:

للإجابة على أسئلة الدراسة وتحقيق أهداف البحث يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للنصوص القرآنية، مع مراعاة ما يلي :

١. الاستدلال من الكتاب والسنة الصحيحة على ما يساق من دلالات في كتب التفسير من المصادر الأصيلة والمراجع المعاصرة حسبما تقتضيه طبيعة البحث.
٢. ترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها داخل متن البحث.
٣. تخريج الأحاديث من مصادر السنة المعتمدة.
٤. توثيق المصادر في هامش الصفحة بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة، ثم بيان معلومات النشر في ثبت المصادر والمراجع.

خطة البحث :

-المقدمة

تمهيد : مصطلحات البحث (السؤال الإلهي، الدلالات التربوية)

المبحث الأول : الدلالات التربوية في مجال الفكري

المبحث الثاني : الدلالات التربوية في المجال الوجداني.

المبحث الثالث : الدلالات التربوية في المجال السلوكي.

خاتمة

ثبت المراجع والمصادر

التمهيد

مفهوم السؤال الإلهي :

أ- السؤال في اللغة : جاء في لسان العرب : " سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالاً وسَآلَةً ومَسْأَلةً وتَسْآلاً وسَأَلَةً..وأَسْأَلْته سُولَتَه ومَسْأَلته أَي قَضَيت حاجته.. وسَأَلْته الشيءَ وسَأَلْته عن الشيء سُؤالاً ومَسْأَلة قال ابن بري سَأَلته الشيءَ بمعنى اسْتَعْطَيته إياه، قال الله تعالى (ولا يَسْأَلْكم أَمْوالكم) وسأَلْته عن الشيء [(١)]، وفي أساس البلاغة قال الزمخشري : "هو سآل وسؤول وسؤلة. وقوم سألة وسؤّال. وسألته عن كذا سؤالاً ومسألة، وساءلته عنه مساءلة، وتساءلوا عنه، وسألته حاجة. وأصبت منه سؤلي: طلبتي..ومن المجاز: هو سألتي من الدنيا. واللهم أعطنا سألاتنا"[(٢)].

وفي مفردات الراغب السؤال هو " استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد، أو برد" [(٣)]

وعلى هذا فمادة (سأل) في ضوء المدلول المعجمي لها إطلاقان :

الأوّل : الاستعلام والاستخبار والاستنباء، والاستجواب وهو ما اصطُلح عليه في كتب البلاغة بالاستفهام، كما في قوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (سورة النحل،آية: ٤٣) وقوله تعالى : {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

(١) لسان العرب (١١/ ٣١٨)
(٢) أساس البلاغة (١/٢٠٦) مادة (سأل).
(٣) المفردات (١/٤١٦)

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (سورة البقرة، آية ٢١٥).

الثاني : الاستعطاء والاستمناح، وهو السؤال الذي لا يُطلب له جواب، وإنما يطلب له عطيّة، كما في قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ} (سورة الأحزاب، آية : ٥٣)، وهذا الإطلاق لا يدخل في هذه الدراسة. وهذا الإطلاق الثاني لا يدخل في هذه الدراسة، حيث يعنى البحث بالإطلاق الأول المتعلق ببالاستجواب.

ويدخل الاستفهام في السؤال، و الفرق بينهما : أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه ؛ وذلك أن المستفهم طالب لن يفهم،ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعن ما لا يعلم فالفرق بينهما ظاهر.(١)

وتبلغ أدوات الاستفهام في اللغة العربية ثلاث عشرة أداة، وهى تنقسم إلى قسمين:

الأول :الحروف : وعددها ثلاثة، وهي: (الهمزة و أم وهل).

والثاني : الأسماء :وعددها عشرة وهي :(من وما وماذا وأي وكم وكيف، ومتى، وأيان، وأين، وأنّى).

و السؤال إما ان يكون بأداة من أدوات الاستفهام السالفة، وإما أن يكون بصيغ فعلية مشتقة من السؤال أو الاستنباء أو الاستفتاء). كقولك أخبرني عن كذا، فمعناه معنى السؤال ولفظه لفظ الأمر.

وجاء السؤال في القرآن بهاتين الطريقتين، وأكثرها ورد بأدوات الاستفهام مثل قوله تعالى : {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } (سورة الأعراف، آية :١٩١) وقوله تعالى : {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري (٣٢)

شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (سورة الروم، آية ٢٨).

ومثال السؤال بفعل الأمر (اسأل) قوله تعالى : {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (سورة يونس،آية ٩٤)، والأغلب أن يعقب السؤال حرف الجر (عن)، ويندر استخدام حرف الباء، وجاء في القرآن في موضعين الأول في قوله تعالى : {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} (سورة المعارج، آية ١)) والثاني في قوله تعالى : {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} (سورة الفرقان،٥٩).

ونقصد بالسؤال الإلهي – موضوع الدراسة – السؤال الذي ألقاه القرآن عن الله تعالى، أو أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– أن يلقيه على الناس.

وتدخل هذه الأسئلة فيما اعتبره البلاغيون القدامى من الاستفهام المجازي الذي لا يقصد منه طلب فهم أو معرفة وإنما يقصد دلالات أُخَر أو معانٍ أُخَر حسب الموقف والسياق وقرائن الأحوال.

كما تناول آخرون هذا النوع من الأسئلة المجازية في علم البديع حيث جعلوه ضمن المحسنات المعنوية للكلام، وسماه بعضهم (تجاهل العارف) [(١)]، وهي تسمية تبدو غير مناسبة، ففيها نسبة التجاهل إلى الله تعالى ؛ ولذلك وجدنا السكاكي يرفض هذا العنوان بسبب مجيئه في كلام الخالق تعالى ويسميه (سوق المعلوم مساق

(١) بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، (ص:١٥٠)، و عرّفه ابن أبي الإصبع بأنه "هو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقةً تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدلّ على شدّة التدلّه في الحب أو مقصد التعجب أو التقرير أو التوبيخ".

غيره).[1]

سياق الأسئلة الإلهية:

تخللت الأسئلة الإلهية أكثر سور القرآن وقد تأتي في أول السورة أو في آخرها أو في ثناياها و السور المكية تحوز على الجزء الأكبر منها حيث العناية بقضية العقيدة والقيم، ومن الأمثلة على ذلك :

١. ما جاء في افتتاح سورة النبأ : {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} (سورة النبأ،آية ١)) و في ختام سورة المرسلات {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (سورة المرسلات، آية ٥٠).
٢. أسئلة بدون إجابة أو تعقيب، والأسئلة الإلهية لا تحتاج إلى جواب لأنها من عالم الشهادة، [2] مثل قوله تعالى : {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ} (سورة الملك، آية : ٣٠).
٣. وقد يأتي السؤال مصحوبا بجوابه مثل : { قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّار } (سورة الرعد ، آية :١٦).
٤. أسئلة متتابعة في السورة الواحدة، مع تعقيبات متنوعة، كما في سورة الطور قال تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

(١) مفتاح العلوم، ٤٢٧، معجم البلاغة العربية،(ص : ٢٤٠)
(٢) تفسير البحر المحيط (٢/ ٤٣٥)

مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠)أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١)أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) }(سور الطور، الآيات ٣٠ :٤٣).

٥. وقد يتكرر نفس السؤال في ثنايا السورة كما في سورة الرحمن حيث ورد إحدى وثلاثين مرة في قوله تعالى : {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} وفي سورة النمل { أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ }،(سورة النمل، الآيات ٦٠ :٦٤) وفي سورة القمر : { فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } (سورة القمر، الآيات ١٥،١٧، ٢٢،٣٢، ٤٠، ٥١).

الدلالات التربوية :

الدلالات جمع ومفرده دلالة، وهي من دَلَّهُ عليه دَلالَةً ويُثَلَّثُ ودُلولةً فانْدَلَّ : سَدَّدَهُ إليه[(١)]

والدليل: ما يستدل به. والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة [(٢)]،

و(الدِّلالَةُ) بكسر الدال وفتحها وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه واسم

(١) القاموس المحيط، (ص: ١٢٩٢)

(٢) الصحاح في اللغة، (٤/ ٣٨٤)

الفاعل (دَالٌّ) و (دَلِيلٌ) وهو المرشد والكاشف[1].

الدلالة في اصطلاح البحث هي الإرشادات التي تكشف للإنسان طريق حياته الموصل إلى غايته .

والتربية من (ربا) رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً زاد ونما وأَرْبَيْته نَمَّيته، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه، ورَبَّبْته بمعنى واحد الجوهري رَبَّيْته تَرْبِية وتَرَبَّيْته أَي غَذَوْتُه قال هَذا لكل ما يَنْمِي كالوَلَد والزَّرْع[2].

والتربية تتعلق في مصطلح البحث بتنمية الشخصية في المجالات الفكرية والوجدانية والسلوكية، وعلى هذا فالدلالات التربوية (هي الإرشادات المستمدة من الأسئلة الإلهية في هذه المجالات الثلاثة التي تتكامل من خلالها الشخصية الإنسانية في حياتها الأولى والآخرة)، مع التنويه بأن هذا التقسيم لتسهيل الدراسة، فهي مجالات متكاملة ومتداخلة .

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١/ ١٩٩)
(٢) لسان العرب (١٤/ ٣٠٤)

المبحث الأول

الدلالات التربوية في المجال الفكري

عُني القرآن بالدعوة إلى التفكير باعتباره الطريق الأمثل في النظر إلى رسالته التي جاء بها في مواجهة الواقع الذي عليه الناس من آراء ومعتقدات، وكان السؤال من أهم السبل لتنشيط العقل الإنساني لينتبه إلى الدلائل التي تحيط به،كما عبر القرآن في قوله تعالى : {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (سورة الأنبياء، آية : ١٠)، وقوله :{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (سورة المؤمنون، آية: ٨٠).

فالقرآن بأسلوبه التساؤلي يحفز الفكر دوما، ويدفعه إلى مزيد من التأمل والنظر حول قضيّة التوحيد والقيم ؛ لأنّ المنهج القرآني في كلّ أسلوبه التربويّ، يجعل أساس تربية الإنسان في أن يفكّر، بإثارة علامات الاستفهام أمام القضايا التي ألفها الناس وهي من نسج الوهم أو التقليد لموروثات قديمة، ليأتي القرآن، وليقول له فكّر في هذا السؤال، فلعلّك من خلال ذلك تستطيع أن تصل إلى الحقيقة.

والأسلوب القرآني يرتكز على قاعدة فكريَّة منهجيَّة تربويَّة، وهي أن إثارة الأسئلة أمام الناس هي السبيل الفكري الذي يمكن من خلاله إجراء حوار عقلاني يتطلب الحجة والبرهان.

ويتضح ذلك في قوله تعالى : {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (سورة الأعراف،آية : ١٨٤) وقوله سبحانه : {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى } (سورة الروم، آية ٨).

والقرآن ينبه على ضرورة التعقل في جواب أسئلته فيقول: { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ **أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**} (**سورة** العنكبوت، آية : ٦٣).

ومن أكثر صور السؤال الاستفهام التقريري وهو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل،وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات، أو أن تكون بينة معروفة، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية" (١).

ويبين الزركشي تفرد هذا الأسلوب في القرآن بقوله : " ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل فيستفهم عنه نفسه تخبره به،إذ قد وضعه الله عندها فالإثبات كقوله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} (سورة النساء،آية : ٨٧)، والنفي كقوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً} (سورة الإنسان آية : ١)،{فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}(سورة هود، آية : ١٤)،ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء،وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف"(٢)

ومع أن القرآن يدعو إلى البحث عن الحقيقة – وهو على يقين منها – لكنه لا يصادر حق المتلقي في النظر والبحث، و يترقى به في خطابه لينزع عنه أسباب العتاد أو الاستعلاء بادعاء الحقيقة المطلقة، كما نرى في قوله تعالى : {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ

(١) مناهج الجدل، الألمعي (ص : ٦٩)
(٢)البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٧)

وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } (سورة سبأ، الآيتان ٢٤ – ٢٦).

فالخطاب القرآني هنا بعد سؤاله وجوابه يبين أن أحد الفريقين على الهدى، والآخر على الضلال من غير تعيين. وكان الإجرام هو تنكب سبيل الحق. فإنه حسم في الأمر بأن قرر أن أحدا لن يكون مسئولا عن فعل الآخر. لكنه إمعانا في الموادعة والحث على محاسبة أنفسهم نسب الإجرام إلى سلوك المؤمنين، ومجرد الفعل إلى المخاطبين من الكفار.

ثم ترقى القرآن في جدالهم بأن قرر أن الذي يجمع الناس ليوم معلوم هو ربهم، خالقهم والعليم بما في صدورهم. وهو الذي سيفصل بينهم فيما هم فيه مختلفون و(الفتح) في الآية هو الفصل بالحق، وهكذا ترقى الجدل من الإيماء والإيحاء إلى التصريح. ويسمي هذا التدرج عند أهل الجدل بالترقي. [(١)].

ومن الدلالات التربوية للأسئلة الإلهية بغية إثارة التفكير لدى المتلقين ما يلي:

١ - تنبيه الذهن إلى مبدأ الاستدلال على حقائق العقيدة :

يأتي أسلوب السؤال لينبه العقل إلى مبدأ **الاستدلال الكوني** على الخالق من دلائل مخلوقاته، ذلك أن الإلف وركام الأوهام المتوارثة يغشي العقل عن التأمل في الدلائل المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس، وهذا مسلك معتاد في القرآن، يقول الرازي (إن الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم الهداية ثانيا، عادة مطرودة في القرآن) [(٢)]، ومن الأمثلة على تقرير تلك الدلالة :

أ- قوله تعالى : {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

(١)التحرير والتنوير (٢٢/ ١٩٥)

(٢) تفسير الفخر الرازي (١٧ / ٨٩)

وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (سورة العنكبوت آية: ٦١)، وقوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (سورة الزخرف، آية : ٨٧)

وهناك دلالة أخرى ترد في علة ذلك التساؤل يصدر من الله سبحانه وتعالى على سبيل التعليم وعلى سبيل الفرضيات التي يعلمها رسوله الكريم ليخاطب بها المشركين، و التحدي بذلك السؤال هو بمثابة إيقاظ وهزة للإنسان الذي يعيش أسباب الغفلة في داخله ؛ ولهذا فإنه ينتبه إلى ذلك عندما يتحداه السؤال بما يشبه الصدمة التي تهز فيه كل عناصر القوة الإيمانية في شخصيته المسلمة، فيجيب عن السؤال المتعلق بكل أحداث الكون التي يتحرك الرزق من خلالها،بأن الله هو الذي يقف خلفها ويشرف عليها، ليكون الإيمان به هو الأساس في كل حركة وموقع.

ب–قوله تعالى : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (الزخرف آية : ٩)، فكل هذا التكرار ذي الدلالات القصدية الكامنة في التباين التعبيري بين نص وآخر تدل على أن تلقين هذا النمط من الاسئلة إزاء الخالق يستهدف ترسيخ التوحيد والإيمان العقيدي برب هذا الكون.

ج– قول الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (الأحقاف آية : ٤)، قال ابن القيم: "فطالبهم بالدليل السمعي والعقلي".[1] فمطالبته إياهم بالدليل العقلي دليل على أن العقل يعلم بطلان صرف شيء من العبادة لغير الله، إذ العابد إنما يرجو ممن يعبده نفعاً أو دفع ضر عنه – والذي لا يخلق ولا يملك شيئاً لا استقلالاً ولا شركة ضعيف فقير عاجز لا يغني شيئاً فلم يستحق أن يعبد.

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٨٤)

فالقرآن من خلال أسئلته الحوارية يحث العقل على التفكير السليم باستخدام أساليب الحجاج العقلية التي تضبط سير الفكر ؛ كقياس الأولى وعدم التسوية بين متفرقين أو التفريق بين مختلفين، ومبدأ العلية، ودلالة الأثر على المؤثر، والمقدمات العقلية وغير ذلك، وبتحفيز المخاطب بالسؤال سيكون مضطرا إلى المرور على تلك القواعد الاستدلالية.ليرسوَ على نتيجة مقبولة.

د_قول الله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} (سورة الطور، آية :٣٥-٣٦).

وفي الآية تراتب عقلي متين بين الاستفهامات الثلاثة، فإن لم يخلقوا من غير شيء فمن خلقهم؟ فإن خلقوا أنفسهم فمن خلق السماوات الأرض حولهم؟ فإن كانوا هم الفاعلين فمن المهيمن على تلك الأكوان والمتصرف فيها؟ وهذا على شاكلة حِجَاج إبراهيم للملك المذكور في سورة البقرة.

و كان لهذا الأسلوب تأثيره الكبير في نفوس المتلقين الأُول، كما يصفه الجبير بن مطعم، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المسَيْطِرُونَ} " قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ)[1].

هـ_{وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (سورة البقرة، آية : ٨٠).

وهنا تنبيه على أن الدعوى ينبغي أن تكون قائمة على استدلال صحيح، قال الرازي:" قوله تعالى(أتخذتم) ليس باستفهام بل هو إنكار، لأنه لا يجوز أن يجعل تعالى

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٤٠)

حجة رسوله – صلى الله عليه وسلم – في إبطال قولهم أن يستفهم، بل المراد التنبيه على طريقة الاستدلال "[1]، و تكمن قيمة هذا الأسلوب في تحرير العقول من قيد الهوى و التقليد و توجيهها إلى التفكر و التدبر في الآيات الكونية.

و- قوله عز وجل في الاستدلال على البعث : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ٩٩) سورة الإسراء }. وقوله عز وجل : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ } (سورة يس، آية ٨١)، ففي هاتين الآتيين الكريمتين إثبات حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره بشكل آكد وأقوى ؛لأن من خلق الشيء يكون قادراً على خلق مثله أو أقل منه [2] .

وقوله عز وجل { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } (سورة غافر آية ٥٧). وقوله عز وجل : { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ.أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ .إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (سورة يس آية ٧٨- ٨٣)، فالذي يخلق من العدم من باب أولى قادر على الإعادة والذي يخلق الشيء من ضده كالنار من الشجر الأخضر، قادر على خلقه من عناصره [3]. وقوله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (سورة الأحقاف آية ٣٢). { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

(١) تفسير الفخر الرازي (٥٥٨/٣)
(٢) انظر : منهج القرآن في تأسيس اليقين – للدكتور محمد السيد الجليند (ص ٧٩)
(٣) نفس المرجع (ص : ٨١)

يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } (سورة الروم آية ٢٧).

وكذلك قوله تعالى : {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى }.(سورة القيامة الآيات ٣٦-٤٠).

٢- تحريك عملية النقد القائم على المقارنة:

تأتي الأسئلة في **سياق المقارنة** لتساعد في الوصول إلى فهمٍ أعمق للأشياء التي يُقارَن فيما بينها، والقرآن يحرك عملية النقد المبنية على المقارنة وعدم المساواة بين مختلفين.

أ-فيقول تعالى : {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}(سورة النحل الآية ١٧-١٨) فهل يستوي من يَخلق ومن يُخلق؟ ومن هو أحق بالعبادة؟ ومن أدعى إلى الالتجاء والاعتصام؟.

ب-قال تعالى : {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (سورة الرعد، آية ١٦).

يقول صاحب زاد المسير : (إنما جاء السؤال والجواب من جهة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا كان كأنهم أجابوا، ثم ألزمهم الحجة بقوله (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) يعني الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلا للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله (قل هل يستوي الأعمى والبصير) يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوي الظلمات) [(١)].

وفي قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}، السؤال هنا موجَّه إلى الناس ومنهم المشركون، وهذا السؤال يُثير فيهم التفكير، فهل يمكن لأصنامهم أن

(١) زاد المسير (٤/ ٣٢٠)

تكون هي الّتي تجعل السماء تنزل بالمطر؟ وهل هي التي يمكن أن تعطي الأرض كلّ هذه الثمار والفواكه وما إلى ذلك؟ من الطبيعي أنهم لا يدّعون لها شيئاً من ذلك، لأنهم يعرفون أنها أصنام صنعوها وأعطوها من خيالاتهم وأوهامهم ما جعلوا لها أسراراً خفيّة اعتبروها تقرّبهم إلى الله زلفى. فإذا دخلوا في مقارنة بين الله وأصنامهم، وجدوا أن أصنامهم تسقط في هذا الاختبار أمام المقارنة.

٣-تنشيط الذهن إلى قياس المعلوم على غير المعلوم :

وتأتي أسئلة تنشط الذهن إلى القياس من خلال سياق المثل لينبه العقل إلى التأمل في المثل المضروب، للوصول إلى تقرير الحقيقة أو نفي الباطل . وقد دأب القرآن على تقريب حقائق العقيدة إلى العقل من خلال ضرب المثل باعتباره من المعلوم لدى الناس لقياسها على غير المعلوم من حقائق الغيب، كما قال تعالى : {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } (سورة العنكبوت، آية، ٤٣) ومن الأمثلة في ذلك :

أ- قوله تعالى : { ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (سورة الروم، آية : ٢٨).

يقول الإمام ابن القيم: "وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؛ أي هل يشاركونكم في أموالكم وأهليكم، فأنتم وهم في ذلك سواء تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي"(١).

ب- قول الله تعالى: { ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ

(١) انظر :إعلام الموقعين(١/ ١٥٩)

أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (النحل، آية : ٧٥-٧٦)، وفيها مثلان، المثل الأول: مثل الكافر والمؤمن، والثاني: مثل ضربه الله ليبين عدم استحقاق غيره للعبادة بضعفه وعدم قدرته، وعدم فهمه وعقله. وأما الله سبحانه فهو الذي يأمر بالعدل وهو التوحيد [(١)].

وقال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر، آية : ٢٩)، وهذا مثل ضربه الله للمشرك الذي يعبد آلهة شتى، وللموحد الذي يعبد إلهاً واحداً وهو الله لينبه على قبح الشرك وحسن التوحيد .

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٤) و تفسير البغوي (٥/ ٣٣)

٤ ـ دفع الذهن لاكتشاف الاحتمالات بافتراض تغير الأوضاع المألوفة لدى الناس.

يستخدم القرآن الأسئلة الافتراضية التي تدفع الذهن إلى تصور الاحتمالات التي تترتب على تغير الوضع المألوف، وتدفع الفكر باتجاه الاعتبار والنظر كيف يكون الحال إذا تغيرت الأمور في الآفاق والأنفس.

وكثير من هذه الأسئلة الافتراضية يصدر بعبارة (أرأيتم) و المقصود به: أخبروني، وأصل هذا التركيب: استفهام عن الرؤية، ثم استُعملت الرؤية بمعنى الإخبار؛ لأنها سبب يؤدي إليه، واستُعمل الاستفهام بمعنى الأمر، فصار المعنى: أخبروني، من باب المجاز المركب، ومن الأمثلة على ذلك :

أ- قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّه سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّه يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} (الأنعام، آية :٤٦).

لو تصور الإنسان أنه حرم من نعمة الإدراك فمن يستطيع ردها غير الله تعالى ؟ يقول أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي –رحمه الله– قرأت هذه الآية: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ} (الأنعام، آية : ٤٦)، فلاحت لي منها إشارة كدت أطيش منها، وذلك أنه إن كان عني بالآية نفس السمع والبصر، فإن السمع آلة لإدراك المسموعات، والبصر آلة لإدراك المبصرات، فهما يعرضان ذلك على القلب، فيتدبر ويعتبر؛ فإذا عرضت المخلوقات على السمع والبصر، فأوصلا إلى القلب أخباره، من أنها تدل على الخالق، وتحمل على طاعة الصانع، وتحذر من بطشه عند مخالفته. وإن عنى معنى السمع والبصر؛ فذلك يكون بذهولهما عن حقائق ما أدركا شُغْلًا بالهوى، فيعاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى، وكأنه ما رأى، ويسمع، وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عما

يتأذى به [1].

ب- قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللّه عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّه يَأْتِيكُمْ بضياء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللّه عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّه يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ } (القصص، الآيتان :٧١.٧٢).

لقد ألفنا تتابع الليل والنهار لكن ماذا لو أصبحنا في ليل دائم أو نهار دائم، إنها أسئلة تبعث التفكير الذي يتلاشى عن الإنسان بسبب إلفه للأمور إذا دامت على حالها.

ج- قوله تعالى : {أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨)) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ (٧٢))(سورة الواقعة، الآيات ٥٨-٧٢).

تطرح الآيات أُسلوب التفكير الصحيح في ظواهر الكون والنظام السائد فيه، ونعم الله على خلقه، وأن هذه الكون بنعم الله فيه يمكن أن تتبدل أو تتغير إذا شاء الله ذلك فكيف يكون حال البشر حينذاك ؟

د-قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ}

(١) صيد الخاطر (ص: ١١٩)

(الملك، آية :٣٠)، وماذا عن الماء إن غار في الأرض ؟ إنها أسئلة تتابع لتثير الفكر الإنساني، ويدرك أن الله وحده خالق كل شيء ومدبره.

هـ- قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ، ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ، ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ } (سورة الشعراء، الآيات :٢٠٥:٢٠٧)، أي لو فرض أيها المخاطب أننا لو أطلنا في عيشهم ليتمتعوا من نعيم الدنيا طوال سنين، ثم جاءهم العذاب الموعود به فجأة، فلا يجدي أي شيء عنهم، ولا ما كانوا فيه من النعيم، ولا يخفف من عذابهم، ولا يدفعه عنهم لأن مدة التمتع في الدنيا مهما طالت متناهية قليلة، ومدة العذاب في الآخرة غير متناهية.[(١)]، وليس في العقل ترجيح لذات متناهية قليلة على آلام غير متناهية" [(٢)]

يروي لنا ميمون بن مهران أنه لقي الحسن البصري في الطواف بالكعبة، فقال له: عظني، فلم يزد على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.)[(٣)].

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٢٢٦)
(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٤/ ٥٣٤)
(٣) تفسير الفخر الرازي(٢٤/ ١٧١)

٥- حث المتلقين إلى البحث عن الحقيقة ولو خارج النص:

القرآن في منهج استفهامي يثير الفضول ويدعو إلى البحث عن الحقيقة، والتقصي والاكتشاف، وإمعان النظر وتدبر حال الآخرين، واعتبار الحال وقياسه على حاله مما يساعده على معرفة ما يناسب، ويصلح، والسؤال يتمحور عن الكيفية (كيف)، ومن الأمثلة:

أ-في قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (العنكبوت، آية :٢٠).و قول الله تبارك وتعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الأنعام، آية :١١)وقوله سبحانه وتعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} (النمل:٦٩).

ب- قوله تعالى : {أَفَلَايَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (سورة الغاشية، آية :١٧-٢٠).

لما تقدم التذكير بيوم القيامة ووصف حال أهل الشقاء بما وصفوا به، وكان قد تقرر فيما نزل من القرآن أن أهل الشقاء هم أهل الإشراك بالله، فرع على ذلك إنكار عليهم إعراضهم عن النظر في دلائل الوحدانية، والهمزة للاستفهام الإنكاري إنكارا عليهم إهمال النظر في الحال إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته.[1]

وهذا الأسلوب يسعى إلى بناء القناعة "نظراً لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عمليّة الاستدلال، بحيث إنّه يشركه بحكم قوّة الاستفهام وخصائصه، فهو أسلوب إنشائي. وهذه الأمور أيضاً هي من سمات الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠٤)

.

بحيث إنّه يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دوراً أساسيّاً في الإقناع بالحجة"[1].

٦ ـ تفنيد التقليد الأعمى :

من خلال أسلوب السؤال يسعى القرآن إلى مساعدة العقل على التحرر من التبعية العمياء للسابقين، ومن ذلك قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} (سورة البقرة، الآية : ١٧٠)،وفي موضع آخر جاء قوله تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ} (سورة المائدة،آية : ١٠٤)، وهذا الاستفهام التعجبي يحرو الأذهان لتراجع منهجها في الحياة، وتتجه إلى نقد ذلك الموروث الآبائي، الناتج عن " فَسَادِ التَّرْبِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا هُوَ حَالُ الْمُقَلِّدِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ، وَإِنَّمَا يَكْتَفُونَ بِمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُمْ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ " [2].

(١) البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً (ص ٣٤١- ٣٤٢)
(٢) تفسير المنار (١/١٣٠)

المبحث الثاني

الدلالات التربوية في المجال الوجداني

يُعد التوجه إلى العاطفة عاملا مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم، فإذا كان العقل لا يسهل قياده في بعض الأحيان مهما وضحت الحجة وعلت في صحتها وقطعيتها فإن العاطفة تكون حينئذ عوناً على استمالة المدعو واجتذابه فهما أسلوبان يدخل منهما نور الهداية ومعاني الخير والرشاد لكن بطريقين مختلفين شكلاً متفقين هدفاً.

والنفس الإنسانية لها قوتان : قوة تفكير فتحتاج إلى إقناع عقلي، وقوة وجدان فتحتاج إلى استمالة عاطفية [1]، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا.

وليس بين العقل والقلب انفصام في المنظور القرآني، بل هما في واقع الأمر مصدران من مصادر العلم والمعرفة يرى الإنسان من خلالهما حقائق الأشياء بتكامل وانسجام. وإن كان من الممكن لكل من العقل أو القلب أن يستقل عن الآخر بتناول معرفة من معارف الدنيا فليس من الممكن أن يستقل أحدهما عن الآخر في تناول الحقائق الدينية، لأن الحقائق الدينية نظراً لأهميتها ينبغي أن تكون مقررة على أساس عقلي وجداني.

ويقصد بالوجدان في قاموس علم النفس كل ما يتعلق بالمشاعر والعواطف

---

(1) انظر : النبأ العظيم (دراز ص ١١٣)

والانفعالات، ويتضمن تبعا لذلك الاتجاهات والقيم والميول والاهتمامات والتوافق والمزاج. وحظي باعتراف العلماء بمكانته في التأثير على السلوك" [(١)].

القرآن يريد قلبا يعقل وهذا تعبير يشير إلى الارتباط بين الفكر والمشاعر كما بينه قوله تعالى : "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا " (الحج:٤٦)، فقد نسب التعقل إلى القلب، إشارة إلى الترابط المحكم بين العقل والوجدان.

واستخدام الأسئلة الإلهية للإثارة الوجدانية شائع في القرآن الكريم ؛ ولذا يستخدم القرآن الكريم أسلوب السؤال هنا دون أن يطلب إجابة محددة، بل قد يأتي بالجواب أو بتعقيبات مؤثرة.

وللأسئلة الإلهية وقعها على النفس متبلدة المشاعر لتسترد إحساسها المغيّب، كما في قوله تعالى : {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ.نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ }(سورة المؤمنون، آية: ٦٥ – ٥٥).

ومن الدلالات التربوية للأسئلة الإلهية في المجال الوجداني :

١ . تنمية الإحساس بالمسئولية :

ينمي القرآن الاحساس الاخلاقي، لدى الإنسان من خلال أسئلة تعزز لديه الشعور بالإلزام والمسؤولية.

و افتقاد الشعور بالمسؤولية، والالزام، من أوضح معالم الشعور الجاهلي، شعور الانسان الضائع الذي ينغمس في لذته ما امكنه الانغماس، والتردي والقلق الذي جعله يتذبذب بين العوالم المشتتة للنفس، والسلوك،والإنسان المؤمن هو يشعر بالمسؤولية تجاه رسالته التي خلق من أجلها ومصيره الذي ينتهي إليه أما غيره فيعتقد بعبثية الحياة، ومن أمثلة الآيات التي تشير إلى هذه الدلالة :

أ- قوله تعالى :{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}

(١) الذكاء الوجداني كمفهوم جديد في علم النفس، مجلة عالم التربية، المغرب(ص : ٥٣)

(سورة المؤمنون، آية ١١٥)، والاستفهام تقرير وتوبيخ؛ لأن لازم إنكارهم البعث أن يكون خلق الناس مشتملاً على عبث فنزلوا منزلة من حسب ذلك فقُرروا ووبخوا أخذا لهم بلازم اعتقادهم(١).

ب- قال الله تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} (الأعراف، آية : ٦)، قال السدي: "فلنسألن الأمم: ما عملوا فيما جاءت به الرسل؟ ولنسألن الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به؟"(٢)فهذه الآية تدل على أن المحاسبة على المسؤوليات تعم الرسل والمرسل إليهم كل حسب ما ألقي عليه من التبعات والمسؤوليات، فعَن ابن مَسعودٍ - رضي اللَّه عنه — قالَ : قال لي النبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : " اقْرَأْ علَّي القُرآنَ " قلتُ : يا رسُولَ اللَّه، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟، قالَ : " إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي " فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية : { فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً } (النساء،آية : ٤٠)، قال " حَسْبُكَ الآن " فَالْتَفَتَّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ.(٣)

ج- قوله تعالى : {ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} (سورة يونس، آية : ٥٢)، وكذاك قوله :{وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (سورة النمل،آية : ٩٠)، فالسؤال فيه استدعاء ربط الجزاء بالعمل، وهذا يعزز الشعور بالمسئولية.

٢ . بث الطمأنينة في نفوس المومنين :

كان تثبيت المؤمنين وعلى رأسهم الرسل والدعاة فيما يلاقونه من شدائد

(١) انظر : التحرير والتنوير (١٨/ ١٣٣)
(٢) تفسير الطبري(٥/٤٣٠)
(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٩٢٥)

ومخاوف من أهم مقاصد الأسئلة الإلهية، ومن الأمثلة في تقرير هذه الدلالة:

أ- قوله تعالى :{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (سورة الزمر،آية ٣٦)، يقول الرازي : " جرت العادة أن المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة، فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى : {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه } وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك..، ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال : {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِه } يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثاً وباطلاً ".(١)

ب- قوله تعالى : {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (سورة الحج،آية ٧٠)، فالسؤال يشعر المؤمن بمعية الله وعلمه بحاله، فقوله : {أَلَمْ تَعْلَمْ} هو على لفظ الاستفهام ؛لكن معناه تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلّم والوعد له وإيعاد الكافرين بأن كل فعلهم محفوظ عند الله لا يضل عنه ولا ينسى.(٢)

٣. *تعظيم حقائق الغيب:*

في سبيل توجيه المشاعر تقدير الحقائق الإيمانية حق قدرها، تطرح أسئلة عدة لغرض التعظيم والتفخيم، ويعدُّ استعمال أداة الاستفهام (ما) من أقوى الاستعمالات في هذا المقام؛ وهي ذات إيحاء بديع في التأثير كما في : قوله تعالى: {القارعةُ* ما القارعة*، وما أدراك ما القارعة﴾ (القارعة،آية١ – ٣)، وقوله: ﴿هل أتاك حَديثُ الغاشية } (الغاشية،آية :١).(٣) و قوله تعالى: {وما أدراك ما يوم الفصل} (المرسلات

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٦ / ٤٥٧)
(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٣/ ٢٥٠)
(٣) انظر : البرهان (٢/٤٨٦)

:١٤)،وفي قوله: {وما أدراك ما يوم الدين* ثم ما أدراك ما يوم الدين } ((سورة الانفطار، الآيتان : ١٧ – ١٨) و قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) (سورة المدثر، آية: ٢٧).

٤ . تشويق النفس والترغيب في الخير :

التشويق هو حمل النفس على النزاع إلى الشيء؛ وتهييجها إليه ؛ ولهذا قد يأتي الاستفهام لجذب النفوس وشدها إلى أمر حدث من قبل؛ أو أمر يكون فيه خير، فيستعمل لتصور ذلك كله؛ ومن أمثلة الآيات في بيان تلك الدلالة:

أ- {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا } (سورة آل عمران، آية : ١٥)، فهذا السؤال يثير كوامن الشوق في نفوس المخاطبين إلى تلقّي ما سيقصّ عليهم[١].

ب- قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا هل أَدُلُّكُم على تجارةٍ تُنْجيكم من عَذابٍ أَليم (سورة الصف، آية : ١٠). فالمؤمنون يتشوقون إلى معرفة: ما التجارة التي تنجيهم بسؤالهم (هل أدلكم) ثم جاءت الآية التالية لبيان هذه التجارة بقوله تعالى: (تؤمنُوْنَ بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خَيْر لكم إنْ كنتم تعلمون) (سورة الصف، آية : ١١).

ج- قوله تعالى : {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} (سورة الإنسان آية :١)، استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه.[٢]

د- قوله عز وجل : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(١) التحرير والتنوير،(٣/ ١٨٤)

(٢) تفسير أبي السعود (٩/ ١٤٨)

﴾ مثال على الترغيب والتأنيس في التوبة، وكذلك قوله تعالى : { وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ } (سورة آل عمران، آية ١٣٥)، فالاستفهام مستعمل في معنى النَّفي، بقرينة الاستثناء منه، والمقصود تسديد مبادرتهم إلى استغفار الله عقب الذنب(١).

٥. التذكير بالنعم :

يحتاج الناس إلى تذكير دائم بالنعم حتى يحدثوا لها شكرا ويصرفوها في الحق والخير،ومن أظهر الأمثلة على ذلك قوله جل وعلا في سورة الرحمن : {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، ولذلك تكرر السؤال إحدى وثلاثين مرة للتفهيم والتقرير(٢) وذكر الزمخشري أنه لتجديد الادّكار والاتعاظ عند استماع كل نعمة عدّها(٣).

روى الحاكم أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لما قرأ سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ قال: ما لي أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم من مرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد))(٤).

٦. الإنكار و التعجيب والتخجيل للتنفير من الغفلة والشر:

طرح القرآن الكثير من الأسئلة الإلهية التي تستثير مشاعر الإنكار و التعجيب والتخجيل من فساد الاعتقاد والسلوك ومن ذلك :

أ- قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم؛ ثم يميتكم ثم

(١) التحرير والتنوير، (٤/ ٩٣)
(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٤٠)
(٣) انظر: الكشاف (٤ /٤٣٩)
(٤) المستدرك (٢/ ٤٧٤)

يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة،آية : ٢٨).

يقول الرازي : "واعلم أن قوله : {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ} وإن كان بصورة الاستخبار فالمراد به التبكيت والتعنيف، لأن عظم النعمة يقتضي عظم معصية المنعم، يبين ذلك أن الوالد كلما عظمت نعمته على الولد بأن رباه وعلمه وخرجه وموله وعرضه للأمور الحسان، كانت معصيته لأبيه أعظم، فبين سبحانه وتعالى بذلك عظم ما أقدموا عليه من الكفر، بأن ذكرهم نعمه العظيمة عليهم ليزجرهم بذلك عما أقدموا عليه من التمسك بالكفر ويبعثهم على اكتساب الإيمان، فذكر تعالى من نعمه ما هو الأصل في النعم وهو الأحياء، فهذا هو المقصود الكلي.[١]، والسؤال بكيف هنا [٢]فيها معنى التعجب كما ذكر ابن قتيبة.

ب-قوله تعالى : {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} (سورة المزمل، آية ١٧)، قال الشوكاني :هذا تقريع لهم شديد وتوبيخ عظيم [٣].

ج-قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} (سورة التوبة، آية ٣٨)، وقوله (مالكم استفهام) فيه معنى الإنكار والتوبيخ،[٤] وبطريقة العتاب على التباطىء بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد[٥].

د-قوله تعالى: { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ }

(١) تفسير الرازي (٢/ ٣٧٥)
(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٧٨)
(٣) فتح القدير (٨ / ٣١٩)
(٤) تفسير أبي السعود (٤/ ٦٥)
(٥) التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (١٠/ ١٩٥)

(سورة الحجرات، آية ١٢)، فكما كرهتم هذا، فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا، فإنه تعالى مثّل الغيبة بأكل جثة الإنسان الميت، وهذا من التنفير(١)، والاستفهام في (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تقريري لتحقق كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله : (فكرهتموه).(٢)

هـ- قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} (٦) سورة الانفطار

إن السؤال هنا ينكر حالة الاغترار البشري مع رب كريم ؛ وحق الإنسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه، حيث خلقه حياً لينفعه، وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب، اغتراراً بالتفضل الأوّل، فإنه منكر خارج من حد الحكمة فالاستفهام كما يذكر الزمخشري - للإنكار(٣).

و- قوله تعالى : {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى} (سورة القيامة، آية: ٣٦)، والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه (٤).

ز- قوله تعالى : {أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} (سورة التوبة، آية :١٢٦)، السؤال فيه معنى "تقريع المنافقين

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٦/ ٢٥٧)
(٢)التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٥٥)
(٣)الكشاف (٤/ ٧١٦)
(٤) إرشاد العقل السليم(٩ / ٦٤)

بالإعراض عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الأمور الموجبة للاعتبار"[١]

ح- قوله تعالى : {أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (سورة النور، آية ٥٠)، قال ابن عطية: وقفهم الله على أسباب فعلهم توقيف توبيخ، ليقرّوا بأحد هذه الوجوه التي عليهم [٢].

ط- قوله تعالى : {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (سورة البقرة،آية ٢١١)، قال الرازي: المقصود منه المبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله [٣] وهذا الاستفهام "سؤال تقريع"، كما ذكر الزمخشري [٤].

ي- {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} (سورة النساء، آية ٢١))، الإفضاء: أن يخلو بها وإن لم يجامعها [٥]، قال الطبرى: وَهَذَا كَلَامٌ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُهُ مَخْرَجَ الِاسْتِفْهَامِ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى النَّكِيرِ وَالتَّغْلِيظِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِآخَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا وَأَنَا غَيْرُ رَاضٍ بِهِ؟ عَلَى مَعْنَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ [٦].

ك- قوله تعالى :{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (سورة الحديد، آية ١٦)، العتاب فيه واضح لمن قسا قلبه من المؤمنين

(١) تفسير الفخر الرازي (١٦/ ١٧٥)
(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٢٣٤)
(٣) تفسير الفخر الرازي (٢ / ٦)
(٤) الكشاف (١/ ٢٨١)
(٥) معانى القرآن (١/ ٢٥٩)
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٥٤٠)

قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ! (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين.(١)

ويشير الجرجاني إلى التأثير النفسي في أسئلة الإنكار ونحوها بقوله : "اعلمْ أنَّا وإنّ كُنَّا نفسر الاستفهامَ في مثلِ هذا بالإنكارِ فإنَّ الذي هو مَحضُ المعنى أنَّه لتنبيهِ السامع حتى يرجعَ إلى نفسِه فيخجلَ ويرتدعَ (٢).

ل- قوله تعالى : {قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ} (الأنبياء، آية : ٤٢) إن الآية تنفي الحماية عن المكذبين، وَتَقْدِيرُهُ: قُلْ لَا حَافِظَ لكم (بِاللَّيْلِ) إذا نمتم و (بالنَّهارِ) إِذَا قُمْتُمْ وَتَصَرَّفْتُمْ فِي أُمُورِكُمْ. (مِنَ الرَّحْمنِ) أَيْ مِنْ عَذَابِهِ وَبَأْسِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:" فَمَنْ ينصرني من الله" (هود، آية : ٦٣) أَيْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٣).

٥-الاتعاظ من مصائر الأمم السابقة :

عني القرآن بعرض شواهد من قصص الأولين بقصد الاتعاظ، وفي مواطن عدة يتبع القرآن ذكر القصة بسؤال للحض على الاعتبار والاتعاظ كما في قوله تعالى : {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } (١٧) سورة القمر، والاستفهام للحث والتحضيض، أي أخبر الله تعالى إخبارا مؤكدا أنه يسر القرآن وسهله للاتعاظ والاعتبار والحفظ، وحضّ على حفظه والاتعاظ بما فيه من العبر، وقد تكررت هذه الآية أربع مرات في أواخر أربع قصص وردت في سورة القمر، للتفهيم والتقرير.، وقال الزمخشري : "فائدته أن يجددوا عند استماع آل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا

(١)صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٩)
(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٠٥)
(٣)تفسير القرطبي (١١/ ٢٩١)

تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك، والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشنّ تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة"[1].

(١) الكشاف (٤ / ٤٣٩)

المبحث الثالث

الدلالات التربوية في المجال السلوكي

من الغايات التي يسعى القرآن الكريم إلى تحقيقها استجابة الناس عمليا لمنهج الهداية الذي جاء به، وأن يُرى هذا المنهج في سلوكهم، وكانت الأسئلة الإلهية واحدا من الأساليب المحفزة لحركة العمل إرادة و قولا وفعلا .

لا يكفي–في ميزان القرآن – اعتراف الناس بالحقيقة أو تأثرهم وجدانيا بها دون أن يكون لذلك أثر واقعي في سلوكهم . وهذا واضح في قوله تعالى : {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} (سورة يونس، آية ٣١).

فالقرآن بعد أن يلقي أسئلته على المنكرين ويقرون بربوبية الله، يسألهم القرآن سؤالا آخر (أَفَلاَ تَتَّقُونَ ؟) إشعارا بأن من أقر بأن الله هو الرزاق الفعّال حري به أن يتقيه بالامتثال بما أمر والانتهاء عما نهى، كذلك جاء قوله تعالى : { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ } (سورة المؤمنون، الآيتان : ٨٦–٨٧)، فقوله تعالى : {أَفَلاَ تَتَّقُونَ ؟}، فيها دلالة على أن المعرفة تفرض العمل. وهذا منهج يؤكّده القرآن في أكثر من آية، وهو أنَّ على الإنسان عندما يعيش وعي القضايا، أن يتحرّك خطّه العمليّ في اتجاه تأكيد هذا الوعي في عمله.

ومن الدلالات التربوية للأسئلة الإلهية في المجال السلوكي :

١-التنبيه إلى أن الحياة اختبار في مدى إحسان العمل :

أكد القرآن أن الحياة اختبار للناس جميعا، والإجابة فيه تكون بإحسان العمل، والنجاح يكون بالمجاهدة والصبر ومن الآيات التي بينت تلك الدلالة :

أ- قوله تعالى : وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (سورة الملك، آية : ٢).

ففي قوله تعالى :(أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يكون الاستفهام مستعملاً في التحْضيض على حُسن العمل [(١)].وقد تردد هذا السؤال في مواضع أخرى، وكذلك قوله تعالى :{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ } (سورة هود، آية ٧)،وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (سورة الكهف،آية : ٧) .

ب- قوله تعالى : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} (سورة العنكبوت آية ٢))، يأتي الاستفهام فيه لينفي ظن الناس أن الإيمان مجرد كلمة، بل التزام تختبره فتن الحياة.

ج- قوله تعالى : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (سورة آل عمران آية ١٤٢)، في قوله : {أَمْ حَسِبْتُمْ} نهي وقع بحرف الاستفهام الذي يأتي للتبكيت، وتلخيصه : لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد (٢).

٢ -الإنكار على الاكتفاء بالقول دون العمل :

والقرآن يعالج قضية هامة هي ملازمة العلم والدعوة للعمل، وهي قيمة تربوية خلقية تتعلق بأخلاق المؤمنين [(٣)]، ومن أمثلة الآيات التي وردت لتقرير تلك الدلالة :

أ-قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (سورة الصف، آية ٢) فالآية تعلن في استفهام إنكاري توبيخي بغضها للاكتفاء

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٥)

(٢)تفسير الفخر الرازي (٩/ ٣٧٥)

(٣) القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن الكريم (ص: ٥٧)

بالقول دون الفعل، وهو "إنكار على من يَعد عدَةً، أو يقول قولا لا يفي به" .(١)

وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن سَلاَم قال : قَعدْنَا نَفَرٌ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله لعملناه) فأنزل الله تعالى : (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (الصف الآيتان ١، ٢) قال عبد الله بن سَلاَم : فقرأها علينا رسول الله ؟ (٢).

وهذا يقتضي أنهم قيل لهم : (لِمَ تقولون ما لا تفعلون) قبل أن يُخلفوا ما وعدوا به فيكون الاستفهام مستعملاً مجازاً في التحذير من عدم الوفاء بما نذروه ووعدوا به.(٣)

ب-قوله تعالى :{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (سورة البقرة، آية ٤٤)، والآية تتعجب ممن يدعو غيره بالخبر دون أن يفعله يقول ابن كثير : "كيف يليق بكم -يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير-أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قَصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؛ فتنتبهوا من رَقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم.(٤)

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٥)
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤١٢)
(٣)التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٢)
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٦)

فالغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب و الأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخلف عنهم [(١)].

وجدير بالملاحظة أن هذا السؤال الإلهي يحمل دلالات وجدانية كذلك،توبخ هذا الصنيع قال الرازي في دلالة الاستفهام "اعلم أن الهمزة في(أتأمرون الناس بالبر) للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم "[(٢)]، وقال القرطبي " هذا استفهام التوبيخ والمراد في قول أهل التأويل علماء اليهود"[(٣)]. وقال الزمخشري: ﴿أتأمرون: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم)[(٤)].

وقوله : (أفلا تعقلون) استفهام عن انتفاء تعقلهم استفهاماً مستعملاً في الإنكار والتوبيخ نزلوا منزلة من انتفى تعقله فأُنكر عليهم ذلك، ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحها مع مصاحبة شيئين يذكرانه، قارب أن يكون منفياً عنه التعقل [(٥)] .

ج-تقبيح المناقضة بين القول والفعل كما في قوله تعالى :{ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ } (سورة البقرة آية ٨٥)، قال ابن عطية : (أفتؤمنون...)، هذا توبيخ لهم

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٧)
(٢) تفسير الفخر الرازي (ص: ٤١٢)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٦٥)
(٤) تفسير الزمخشري (١/ ١٣٣)
(٥) التحرير والتنوير (١/ ٤٧٧)

وبيان لقبح فعلهم، [1]وذكر أبو حيان أن الاستفهام "للتوبيخ والإنكار على المناقضة لا على الفداء"[2].

٣- التنويع في صيغة الطلب:

يعد السؤال أحد الصيغ التي استخدمها القرآن لطلب الاستجابة العملية بغير صيغة الأمر الصريح،وفي ذلك دلالة تربوية في استخدام لغة الحوار والنقاش في توجيه المتلقي إلى الفعل أو الترك ومن ذلك :

أ- قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} أي انتهوا ؛ ولذا قال عمر رضي الله عنه: فقال عمر : انتهينا يا رب انتهينا[3].

ب- قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ}، أي أسلموا. وقد تقرر في فن المعاني: أن من المعاني التي تؤدي بصيغة الاستفهام: الأمر [4].

فالعبرة من هذا الاستخدام إنما هو في التركيب الذي يجسد أمراً غير حاصل وقت

(١) المحرر الوجيز (١ / ٢٨٤)

(٢) انظر : البحر المحيط(١/٢٨٤)

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٣١٨)، ولم ينسبه لغير ابن جرير انظر تفسير الطبري (٤/ ٣٣٤)

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢/ ٢٠٠)

الطلب بأسلوب الاستفهام ؛ وأكد النهي عنها بأن أورده بصيغة الاستفهام في قوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (سورة المائدة،آية: ٩١)، فهو أبلغ في الزجر من صيغة الأمر التي هي "انتهوا".

ج- قوله تعالى {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (سورة المائدة، آية ٧٤)

قال السمرقندي: (أفلا يتوبون...) لفظه لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، فكأنه قال: توبوا إلى الله[١]، ونسبه الرازي إلى الفراء[٢]،وقال الزمخشري:(ألا يتوبون) بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر، وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه، وفيه تعجيب من إصرارهم[٣] فالاستفهام للتحضيض على التوبة، وطلب المغفرة.

وقال القرطبي: (أفلا يتوبون) تقرير وتوبيخ، أي فليتوبوا إليه، وليسألوه ستر ذنوبهم، [٤]،وقال أبو حيان : والمعنى على التعجب من انتفاء توبتهم، وعدم استغفارهم، وهم أجدر الناس بذلك[٥]، و هذا أيضا لطف بهم واستدعاء إلى التنصل من تلك المقالة الشنعاء بعد أن كرّر عليهم الشهادة بالكفر كما ذكر أبو حيان في موضع آخر [٦]

هـ- {وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} (سورة الفرقان، آية:

(١) بحر العلوم (١/)٤٥١
(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي (٦٤ / ١٢)
(٣) الكشاف (١/ ٦٩٧)
(٤) (الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٠)
(٥) تفسير البحر المحيط (٣/ ٥٤٥)
(٦) تفسير البحر المحيط (٣/ ٥٤٤)

٢٠)، قال السمرقندي (أتصبرون) اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعنى اصبروا[١].

و- {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (سورة التوبة، آية : ١٣)، ذكر الزمخشري أن الهمزة للتقرير بانتفاء المقاتلة، ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة[٢]، وقال ابن عطية: (ألا تقاتلون) عرض وتحضيض[٣]،وهذان أسلوبان متماثلان؛ وإن زاد أحدهما على الآخر في المعنى؛ فالعَرْضُ: طلب الشيء بِلين، والحَضُّ: طلبه بقوة مرة بعد مرة؛ ويستعمل فيهما الهمزة مع (لا) فتصبحان (أَلاَ) وهما كالاسم الواحد؛ والطلب لا يراد منه الإجابة (بنَعم) أو (لا) وتختص بالفعل، ومن العرض قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (سورة النور، آية : ٢٢).

٤-إظهار قيمة العمل للإنسان

يأتي السؤال ليظهر أهمية العمل في سياقات مختلفة منها :

أ-قوله تعالى في سياق المثل : {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (سورة البقرة، آية : ٢٦٦).

الاستفهام جاء في سياق ضرب المثل و الهمزة في {أَيَوَدُّ} استفهام لأجل

(١) بحر العلوم (١/ ٤٣٢)
(٢) الكشاف (٢/ ٢٥٢)
(٣) المحرر الوجيز (٣/ ١٤)

الإنكار.[1]، فلا أحد يود أن يكون في مثل هذه الحال من كارثة احتراق ثروته في آخر عمره وضعف ذريته.

روى البخاري عند تفسير هذه الآية أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال يوما لأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– فيمن ترون هذه الآية نزلت: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } ؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. فقال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك. فقال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر: أيُّ عملٍ؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمِل بالمعاصي حتى أحرق أعماله" .[2]

ب–قوله تعالى في نفي المساواة بين العمل الصالح والعمل الفاسد : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} (سورة الجاثية، آية ٢١)، وقد أثر عن كثير من الناسكين المخبتين لربهم أنهم كانوا يبكون عند تلاوة هذه الآية حتى سموها مبكاة العابدين.[3]

يقول مسروق : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته قام ليلة حتى أصبح أو كرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز و جل فيركع ويسجد ويبكي ({ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

(١) تفسير الفخر الرازي (٧/ ٥١)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢٦٠)
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٥)،والحديث في صحيح البخاري برقم (٤٥٣٨)
(٣) تفسير المراغي (٢٥/ ١٥٤)

آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون })[1] ، ومن الأمثلة الأخرى في هذا السياق قوله تعالى : { أَفَنَجْعَلُ المسلمين كالمجرمين} (القلم، آية : ٣٥) وقوله : { أَمْ نَجْعَلُ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كالمفسدين فِي الأرض أَمْ نَجْعَلُ المتقين كالفجار } (ص، آية : ٢٨).

(١) المعجم الكبير (٢/ ٥٠)

خاتمة

اتضح في هذا البحث كيف كانت الأسئلة القرآنية التي صدرت عن الله تعالى محضن التفكير ومحرك الوجدان ومبعث الترقي إلى سلوك افضل. من خلال تساؤلات في النفس والحياة ومجتمع الناس وسائر المخلوقات، فهي نابعة من منهج تربوي له في مجالاته الفكرية والوجدانية والسلوكية التي أوردها البحث أمثلة قرآنية على النحو التالي :

١-المجال الفكري :

منهج السؤال في القرآن الكريم يجلِّي لنا التصور الإسلامي لمنهجية التفكير المنفتحة على النقد والبحث عن الحقيقة، لذلك تجد القرآن بأسلوبه التساؤلي يحفز الفكر دوما ويدفعه إلى مزيد من النقد والنظر للتبصر، التفكر، التحليل، العبرة، الاستنتاج، الاستفهام، الاستقصاء، وطرحت أسئلة جدلية من الإيماء والإيحاء إلى التصريح. ويسمي هذا التدرج عند أهل الجدل بالترقي.

وقد عُني القرآن بالدعوة إلى التفكير باعتباره الطريق الأمثل في النظر إلى الرسالة التي جاء بها لمواجهة الواقع الذي كان عليه الناس من آراء ومعتقدات، وكان السؤال من أهم السبل لتنشيط العقل الإنساني لينتبه إلى الدلائل التي تحيط به.

١. فجاء أسلوب السؤال لينبه العقل إلى مبدأ الاستدلال على الخالق من دلائل مخلوقاته.
٢. كما استخدمت الأسئلة التي تحرك عملية النقد المبنية على المقارنة وعدم المساواة بين مختلفين.
٣. كما استخدم السؤال في ثنايا المثل أو بعده ليفتح باب تقريب التصور، للوصول إلى تقرير الحقيقة أو نفي الباطل عنها .
٤. كما طرح القرآن الأسئلة الافتراضية لدفع الذهن إلى النظر في الاحتمالات

التي تترتب على تغيير الوضع المألوف، وإثارة الفكر باتجاه الاعتبار والنظر كيف يكون الحال إذا تغيرت الأمور في الآفاق والأنفس.

٥. وكانت هناك أسئلة للاعتبار من الأحداث والوقائع، واعتبار الحال وقياسه على حاله مما يساعده على معرفة ما يناسب، ويصلح.

٦. مساعدة العقل على التحرر من التبعية العمياء أقوال السابقين .

المجال الوجداني :

يُعد التوجه إلى العاطفة مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم للتوجه إلى العقل، واستطلعنا من دلالاته ما يلي :

١. ينمي القرآن الاحساس الاخلاقي، لدى الإنسان من خلال أسئلة تعزز لديه الشعور بالمسئولية و الإلزام.

٢. بث الطمأنينة لتثبيت القلوب من خلال أسئلة تبشر بتأييد الله لرسوله وللمؤمنين.

٣. توجيه المشاعر تقدير الحقائق الإيمانية حق قدرها، تطرح أسئلة عدة لغرض التعظيم والتفخيم.

٤. تشويق النفس بحملها على النزاع إلى الشيء؛ وتهييجها إليه.

٥. تذكير دائم بالنعم حتى يحدثوا لها شكرا ويصرفوها في الحق والخير.

٦. الاتعاظ من مصائر الأمم السابقة.

المجال السلوكي :

من الغايات التي يسعى القرآن الكريم إلى تحقيقها استجابة الناس عمليا لمنهج الهداية الذي جاء به، وأن يُرى هذا المنهج واقعا حيا في سلوكهم، وكانت الأسئلة

الإلهية واحدا من الأساليب المحفزة لحركة العمل قولا وفعلا .

١. -التنبيه إلى أن الحياة اختبار في مدى إحسان العمل .
٢. التأكيد على ملازمة القول للعمل و الإنكار على الاكتفاء بالقول وحده.
٣. تنويع طلب الاستجابة باستخدام لغة الحوار والنقاش .
٤. إظهار قيمة العمل للإنسان.

وهكذا تبين من خلال الأمثلة القرآنية التي عرضها البحث أثر هذا الأسلوب التساؤلي في تنمية التفكير وتزكية المشاعر و حفز السلوك الإنساني بما يحقق غايته في هداية الناس.

المصادر

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان،: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت ٧٥١) - تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣.

٤. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت. (د.ت).

٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ((ت:٧٤٥هـ)،تحقيق، صدقي محمد جميل،دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦. بديع القرآن، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري، المعروف بابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤)، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر (د.ت).

٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٨. البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، الحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات-جامعة الجزائر، العدد ١٢ ديسمبر ١٩٩٧.

٩. تأمُّلات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، د. محمد السيد الجليند:، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩م.

١٠. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

١١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٤ هـ.

١٢. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

١٣. تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٤. تفسير البغوي، الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

١٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٦. التفسير الكبير ،فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت ٦٠٤) ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٧. تفسير المراغي،أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،دار الفكر المعاصر – دمشق، ط ٢، ١٤١٨ هـ.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن،: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالةا، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٠. جامع الترمذي،أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت).
٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة .
٢٢. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، (د.ت).
٢٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)المحقق: محمود محمد شاكر أبو فه، مطبعة المدني بالقاهرة و دار المدني بجدة ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٤. الذكاء الوجداني كمفهوم جديد في علم النفس، الدكتور بشير معمرية، مجلة عالم التربية، المغرب، العدد ١٦، ٢٠٠٥ م.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)،تحقيق عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٦. الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري دار العلم للملايين بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢٧. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

٢٩. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت: ٥٩٧هـ)، دار القلم — دمشق –ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة،، ط٢، دار الوفاء، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م.

٣١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان ط ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٣٢. القيم التربوية التي تضمنها السؤال في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، علي سعيد علي شومان، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية —جامعة اليرموك،١٤١٣هـ

٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري، محمود بن عمر، مكتبة العبيكان، الرياض، لبنان،١٤١٨ هـ.

٣٤. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ)، تحقيق أ/عبد الله الكبير، ط دار المعارف بالقاهرة، (د.ت).
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ا، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية – بيروت ط ١ - ١٤٢٢ هـ
٣٦. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، دار الحديث ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣٧. المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١١هـ.
٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)،المكتبة العلمية – بيروت (د.ت.)
٣٩. معاني القرآن،أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)تحقيق : أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ط١، (د.ت).
٤٠. معجم البلاغة العربية،الدكتور عبده عبد العزيز قلقيله، دار الفكر العربي،ط١، ١٤١٢-١٩٩١.
٤١. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة (د. ت).
٤٢. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق :

حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

٤٣. مفتاح العلوم،يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط٢،١٤٠٧ — ١٩٨٧.

٤٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ

٤٥. مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر بن عواض بن محمد بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق الرياض، ط٣ ، ١٤٠٤هـ .

٤٦. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم،محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)،دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.